رحلة الامير يشبك

في جملة المخطوطات النادرة التي استنسخت للخزانة التيمورية من دار الكتب المصرية رحلة الامير يشبك الشهير بيشبك بن مهدي الدوادار المتوفى مقتولاً بالرُّها في العشر الاخير من رمضان سنة ٨٨٥ وهي كما قال الاستاذ احمد تيمور باشا في التعليق عليها تتضمن سفر الامير يشبك الدوادار لمقاتلة شاه سوار الخارج على سلطان مصر وقد رافق مؤلفها الجيش وأُرسل سفيراً الى تبريز لحسن بك سلطان العراقين (اي حسن الطويل) وكان ممن طلع الى سوار لما حوصر بالقلعة للاتفاق معه على شروط التسليم والارجح ان مؤلفها القاضي شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبي المعروف بابن أجا ولد سنة ٨٢٠ بحلب وتوفي بها سنة ٨٨١ كما في ترجمته في الضوء اللامع وقد جاء بها انه صحب الدوادار الكبير يشبك بن مهدى وراج بسبب ذلك وسافر رسولاً منه ومن السلطان الى عدة ممالك كتبريز والروم وغيرهما وانه ترجم فتوح الشام للواقدي الى التركية نظماً وعمل سفرة سوار . وفي ترجمة الضوء اللامع ايضاً في ترجمة يشبك بن مهدي في كلامه على خروجه قائداً للعسكر لمقاتلة شاه سوار ما نصه : « وكان امراً مهولاً افرده امامه الشمس ابن اجأ بالجمع فبالغ »

ليست هذه الرحلة بالكبيرة الحجم فانها في مائة وثلاثين صفحة بدأها مؤلفها بقوله بعد البسملة لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الحمد لله نصر عباده المؤمنين وايدهم بكلمة التقوى وجعلهم نقمة للظالمين واحل سيوفهم برقاب الطغاة والخارجين ... ثم ذكر ما وقع للامير يشبك قائد الجيوش المصرية منذ خروجه من القاهرة في أُبهة عظيمة لم يخرج احد ممن تقدمه من الامراء مثله وذلك في شوال سنة خمس وسبعين وثمانمائة وفوض اليه امر المملكة الشامية من العريش الى الفرات ورسم له ان يولي من يشاء و يعزل من يشاء بجنحة وبغير جنحة و يعطي الاقطاعات من يختار و يرى نفعه للمهمات الاسلامية ومن كان بضد ذلك يأخذ اقطاعه و يعطيه لمن هو اهل له من غير معارض له وكذلك كفلاء الممالك والنواب يستمر تبن يريد و يعزل من يريد . وكان سلطان مصر والشام اذ ذاك الملك الاشرف قايتباي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الرحلة فوائد لطيفة منها كون قبر ابي هريرة (رض) الذي بغزة غير صحيح لانه دفن بالمدينة ووصول الحملة الى دمشق وحماة وحلب واستقبال الاهلين لها استقبالاً جميلاً وان دخول يشبك الدوادار مدينة حلب فاق دخول الاشرف برسباي فيها سنة ٨٣٦ وكيف رمى عيناب بالمكاحل وفتحها وكيف قابل كاتب الرحلة شاه سوار وما عرضه عليه من الطاعة ثم تجهيزه الي تبريز لمقابلة حسن الطويل ومناظرته لعلماء تبريز ووصف المراحل في ذهابه وايابه الى تبريز مرحلة مرحلة وقد ذهب من طريق وآب من آخر وهي مهمة في تصور رسم الاراضي في تلك الاصقاع. وهاك ماقاله القاضي السفير لما اجتمع بحسن الطويل في تبريز بنص عبارته: « دخلت عليه وعنده جماعة من اهل العلم والتجار الواردين عليه من سائر الاقاليم فلما قربت منه قام من مكانه واجلسني بجانبه فاول ما بدا ان يسألني عن مولانا السلطان الملك الاشرف فابتباي خلد الله ملكه ثم عن المقر الاشرف الامير يشبك الدوادار ونظام الملك وباش العساكر الاسلامية اعز الله انصاره فقلت بخير ويسلمان على البادشاه » فاثنى بكل خير وقال: انا والله احبهما ولا اعلم الا مملكتي ومملكتهما واحدة وهذه عساكري حاضرة معها اخترت منهم خذ وقد سألت السلطان بذلك مراراً فلم يرد علي جواباً وما علمت المراد فقلت لسعادة مولانا البادشاه الامر ما يحتاج الى هذا وسوار اقل واخس من ان يجتمع عليه عسكر مولانا السلطان خلد الله ملكه وعسكر البادشاه وهذا من بعض تركمان المملكة الحلبية وما سبق من الامور فسببه ظاهر لايحتاج الى التفصيل لان مجلس البادشاه لايحمل قط ذلك ومولانا يعلم حقيقة الحال والا من قديم الزمان والى الآن لم يزل كافل المملكة الحالية بمفرده يركب على الدلغار ويشتت شملهم ويخرجهم من البلاد والآن بسعادة البادشاه قد اخذت عيناب في سبعة ايام وحصلت الملاقاة مع بعض عسكره بنفر قليل من المماليك فانكسروا وقتل باشهم (رأسهم) واخذ سنجقه (علمه) وقتل من اعيانهم نحو من اربعين نفراً ولولا انهم التجأوا الى الجبل ما نجا منهم احد وكل امور عساكر الاسلام على اتم نظام كل ذلك بحسن تدبير الامير نظام الملك الشريف. والرخاء متزايد بالعساكر الاسلامية وقد تضعضع الغريم وولى من مكانه هارباً ثم سألني عن امير العساكر الاسلامية وما هم فيه فاخبرته بكثرتهم وقوتهم والفاقهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وانقيادهم لنظام الملك اعز الله انصاره وان كلاً من الكفلاء والامراء يطلب رضاه واخبرته بما هم فيه من الاهتمام وكثرة آلات الحصار والزردخانات والصناع والى غير ذلك فظهر لي من وجهه الكراهة لما سمع قوة العساكر المنصورة ...».

ومعلوم ان شاه سوار (او شهسوار) كما يرسمها الترك هو الثامن من امراء ذي القدرية التركمانية الذين كانوا في مرعش واصقاعها يلجأون تارة الى سلاطين العثمانيين وطوراً الى ملوك مصر والشام من الجراكسة وكان شاه سوار اعتصم بابن عثمان فاغتنم ملك الجراكسة اشتغال هذا في حرب له وارسل الامير يشبك في هذه التجريدة وفتح عينتاب وما اليها واخذ الامير سوار اسيراً وصلب في باب زويلة في مصر.

وقد وصف صاحب الرحلة القتال بين عسكر مصر وعسكر شاه سوار (ص٨٦) وانخذال هؤلاء وعودة الامير يشبك الى حلب وما بدا من رفقه بالرعية وانه كان يضرب بيد من حديد «المماليك السلطانية الذين جرت العادة على انهم يفعلون الامور المشهورة عنهم من اخذ اموال الناس وهتك حريمها».

ثم اورد رحيل الامير يشبك من حلب بالجيش لمعاودة القتال وفتحه البلاد وتصنيفه شيئاً من الخشب يدخل فيه الرجال ويدفع الى سور القلعة ويلصق به ليتمكن من فيه من النقب. وذكر صورة نزول سوار من قلعة زمنطو وتسليمه نفسه ومقابلة كاتب الرحلة له والقبض على سوار بعد اكرامه والباسه خلعة ورجوع الامير يشبك بالجيش ومعه سوار ودخوله القاهرة ووصف الموكب الذي عمل له وكان فيه سوار واخوته وامراؤه وشنكلة سوار بباب زويلة وموته من يومه.

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net